Rusicade (Skikda) - روسيكاد (سكيكدة)

أ.د. محمد البشير شنيتي
أستاذ التعليم العالي
معهد الآثار- جامعة الجزائر

ملخص :
يحاول البحث رصد تاريخ روسيكاد (المدينة النوميدية العريقة) في العصور القديمة، فيتتبع أخبار تطورها منذ نشأتها كمحطة فينيقية إلى نهاية العهد الروماني. وذلك من خلال معطيات النصوص القديمة والدراسات الحديثة وما عقت عليه عوامل الدهر وأيدي البشر من شواهدها الأثرية. فيقرأ ما تبقى منها بإيجاز واصفاً منشآت المدينة بالاعتماد على تقارير المكتشفين الأوائل ومعطيات ما وصل إلينا من أطلالها، كصهاريج المياه والمسرح الروماني ثم مقتنيات متحف مدينة سكيكدة على قلتها وسوء حالتها.

Abstract

This research tries to forward the history of Rusicade (the antique Numide city) during the ancient ages, by following the evolution news of the city since its birth as a Phoenician station up to the end of the Roman age. Thus across the ancient text data, recent studies and archeological sites. It makes a summary reading of the rest of the city by describing its monuments on the base of the first explorers' reports and what we got from still existing edifices, like water tanks and the roman theater, and then what is held in the Museum of Skikda despite their rarity and bad conservation.

Résumé

La présente recherche essaye de repérer l'histoire de Rusicade (la ville Numide antique) durant les ères anciennes. Elle poursuit les nouvelles de son évolution depuis sa naissance comme une station phénicienne jusqu'à la fin de l'ère Romaine, et ce, à travers les données des textes anciens, des études récentes ainsi que les témoignages archéologiques. C'est aussi une lecture du reste de la ville de façon sommaire, en décrivant ses monuments sur la base des rapports des premiers explorateurs et de ce qui a résisté de ses édifices, comme les citernes d'eau, le théâtre romain et les acquisition du musée de Skikda malgré leur rareté et leur mauvais état.

روسيكاد :Rusicade (أنظر موقعها في شكل 1)

أولا –الموقع والهوية:

تتربع مدينة سكيكدة على أنقاض مدينة روسيكاد المدينة القديمة المندثرة التي لم يبق من معالمها العمرانية سوى جزء من المسرح الروماني المختفي وراء ثانوية النهضة متكئا إلى المنحدر الشرقي لهضبة بويعلا.
عندما احتل الفرنسيون سكيكدة وجدوها محتفظة بمعالم تاريخية كثيرة كانت قد ألهمت الجغرافيين والرحالة العرب من قبل وصفا جميلا ينم عن كثير من الإعجاب، إذ نعتها البكري: "مدينة تاقسدة (سكيكدة) وهي مدينة أولية قديمة فيها آثار للأول عجيبة"[1] .

وقال عنها حسن الوزان الملقب بالأسد الإفريقي: " سكيكدة مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر. خربها القوط في الزمن الغابر إلا أن أمير قسنطينة، نظرا لمينائها الجيد، أمر ببناء منازل ومخازن للجونويين الذين كانوا يتاجرون في البلاد، بل أنشأ قرية في أعلى جبل مجاور يقيم فيه حارس على الدوام للإخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء"[2].
وقد امتدت أيدي المحتلين إلى تلك الآثار "العجيبة"، فأزالتها من الوجود، ومنها المدرج الروماني الذي كان قائما عند المدخل الجنوبي للمدينة فاقتلعت حجارته المؤسسة الهندسية للجيش الفرنسي كي تبنى بها أسوار المستعمرة الفرنسية التي سموها: فيليب-فيل(Philippe ville). وكان المسرح الروماني سيلقي مصيرا مماثلا لو كان باديا للعيان، ولكن حظه أنه كان مختفيا تحت الردم فنجا من الهدم.

سكيكدة الحالية اسمها مشتق فيها يظهر من اسم المدينة القديمة العائدة إلى العهد الفينيقي أو البوني (نسبة إلى الفينيقيين الغربيين) وهو " روسيكاد "، مركبة من روس –يكاد. ولعله يشير إلى الجبل المشرف على المدينة من الجهة الشرقية ويسمى راس سكيكدة، أو جبل سكيكدة. " و روسيكاد" يقترب من أسماء مدن ومواقع أخرى منسوبة إلى العهد الفينيقي كذلك أو إلى أحفادهم المعروفين بالبونيين. نذكر منها: روسوكورو (دلس)، روسغونيا (البرج البحري).
وحول معنى (روسيكاد) فإن الشطر الأول من الاسم وهو (روس) لا يختلف حول معناها المؤرخون فهو لفظ كنعاني يعني الرأس، أي النتوء المرتفع من اليابسة المتقدم في البحر.

[1]- البكري، المغرب في أخبار إفريقيا و المغرب. ط 1965.ص.83.
[2]- وصف إفريقيا لحسن الوزان .ط2.دار الغرب الإسلامي .ح. ص.54-55.

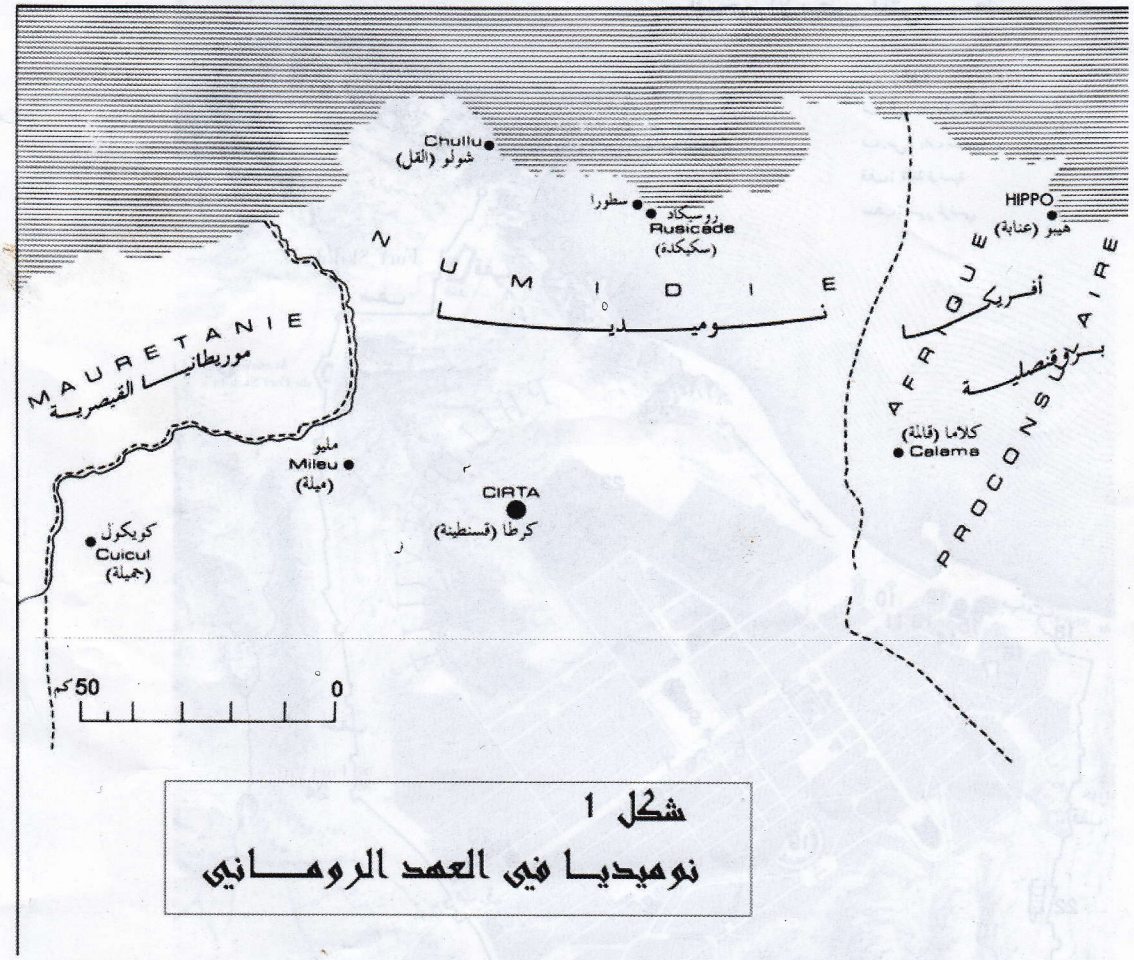

شكل 1
نوميديـــا في العهد الرومـــاني

صممت الخريطة إعتمادا على : P.A, Fevrier, approches, I, p.171.

شكل 2 : مخطط مدينة سكيكدة (فيليب فيل) في القرن التاسع عشرعن : Ravoisié.

أما الشطر الثاني (يكاد) أو(يقاد) فقد ذهب البعض إلى القول بأنه يعني النار أو النور أو المنارة المتقدة أو الشعلة. وذلك لأن البحارة الفينيقيين اعتادوا على وضع منارات (شعلات) على قمم الرؤوس المختارة كي تهتدي بها سفنهم أثناء الإبحار ليلا، وبذلك يكون معنى (روسيكاد) الرأس المنير أو المنارة[3] ويظهر لي أنه تفسير العالم جيزينيوس Gesenius أصوب وينسجم مع ما أورده حسن الوزان الذي ذكر بناء نقطة مراقبة في أعلى جبل سكيكدة في بداية العهد العثماني بالجزائر. مما يدل على أهمية المكان بالنسبة للبحر والمدينة معا. ثم أننا نعلم أن البحارة الفينيقيين وبعدهم البونيون الذين جابوا البحر الأبيض المتوسط وتعرفوا على سواحله قد استعانوا بالرؤوس المتقدمة في البحر لتحديد مسارهم ومواقع سفنهم

[3] راجع حول الموضوع ما أورده Gsell AAو ترجيحه لرأي الباحث، Gesenius, Scripturae linguaegue phoeniciae monomenta.p.426.

عرض البحر، وكذا لتحديد المناطق الساحلية من خلال المعالم الجغرافية البارزة فأطلقوا على هذه المعالم أسماء احتفظت بها تقاريرهم وتوصيفاتهم الجغرافية المتعلقة بالبلاد التي تعرفوا عليها، وقد اعتمد الجغرافيون والمؤرخون فيما بعد (في العهد الروماني خاصة) على تلك التقارير في تآليفهم حول شمال إفريقيا ومنهم استرابوس وبلينوس وميلا وبطليموس[4] وغيرهم.

ورد اسم سكيكدة في النصوص القديمة بصيغ متقاربة يظهر عليها تحريف بسيط.منها: روسيكاد Rusicade عند الكتاب الرومان أمثال بومبونيوس ميلا (p.dq.i.7) وبلينوس (Pline.V22)

ولدى بطليموس (Ptolemée 32،14). وكذلك خرائط أنطونيني (Itiniraire d'autonin) وبوتنجير Peutenger وغيرها. كما ورد اسم روسيكاد في النقوش اللاتينية بكثافة وبصيغ متغيرة الأخير حسب مقتضيات قواعد اللغة اللاتينية بناء على مواقع الكلمة في الجملة.

أما عند المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب فقد وردت بالصيغ التالية: "سيكدا" عند الليعقوبي، "تاسقدا" عند البكري، "سكيكدة" عند ابن خلدون، وكذلك عند حسن الوزان وغيره من الكتاب المعاصرين والمؤرخين مما يدل على أن هذه الصيغة الأخيرة هي التي احتفظت بها المدينة إلى اليوم. ونلاحظ أن البكري أضاف (تا) المعبرة على أداة التعريف للإسم المؤنث في اللغة الأمازيغية، ولعل ذلك راجع إلى أن البكري انتقى معلوماته حول سكيكدة من رواية أمازيغية، والحال هنا شبيه (بيتاجزيرت) وهي تيغزرت (يومنيوم) الفينيقية التي تعني الجزيرة أيضا.

أما عند الكتاب اليونانيين فإننا لا نعثر لديهم على لفظ روسيكاد للدلالة على هذه المدينة ولكن عن تسمية أخرى هي تابسة (Thapsa) التي وردت عند أقدم رحالة يوناني تعرف على سواحل بلاد المغرب وهو المدعو سكيلاكس (سكولاخ) Scyclax خلال القرن الرابع قبل الميلاد. ويعد الثاني بعد هيرودوت الذي خلف لنا معلوماتٌ توصيفية هامة عن شمال لإفريقيا. ولعل تابسة هو الاسم القديم لواد صفصاف فأطلق اسمه على المدينة التي يصب شرقها. وقد اقتبس المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس في القرن الأول قبل الميلاد هذا الاسم وأطلقه على المدينة أيضا مضيفا له علامة الرفع في اللغة اللاتينية فجاء: تابسوس[5] .

لكن هذا الاحتمال الذي رجحه المؤرخ ديزانج[6] Desanges معتمدا على ورود تسمية واد صفصاف (بتابسوس) عند فيبيوس سكويستر Vibius Sequestre تثير تساؤلات حول مدى معرفة الرحالة اليونانيين بالمواقع الجغرافية وبأسماء المدن كذلك. يبدو أن مؤسسي مدينة روسيكا كانوا قد خبروا مميزات الموقع الجغرافي ومدى ملاءمته لهم. فهي تقع بجوار سهل خصب جميل، وتتوفر على موارد مياه دائمة مصدرها واد صفصاف وتتربع على شاطئ هادئ محتمية برأس سكيكدة من الجهة الشرقية. وبجبل سطورة من الجهة الغربية مما يوفر لها سهولة رسو السفن وإمكانية سحب المراكب إلى اليابسة بيسر. وكان لموقع سطورة المميز دور مكمل لروسيكاد وعامل دعم لنمو وازدهار مينائي المدينتين مما ساعد على تواصل عمرانها عبر العصور.

كانت نواة المدينة القديمة روسيكاد جاثمة على منخفض ضيق يحصره مرتفعان أحداهما من الجهة الشرقية ويدعى رأس سكيكدة أو جبل سكيكدة المشار إليه أعلاه والأخر في الجهة الغربية ويدعى مرتفع أو هضبة بويعلا. وهما مرتفعان متماثلان من حيث العلو تقريبا ويحتضنان المدينة تاركين لها مدخلين أحدهما من الجهة الجنوبية في اتجاه قسنطينة

[4] Stralbon, Geographie; Pline l'ancien, Histoire naturel, V; P. Mela, Geographie; ptolemiée.
[5] Tite-Live ; XXIX , 30 , 5
[6] Desanges (J.), Pline l'ancien, v ; 22, p94.

(كيرتا) والآخر في اتجاه البحر شمالا أي الميناء. وتتوزع بقايا معالم روسيكاد في هذا الحيز الطبوغرافي الضيق، وهو المجال الجغرافي الذي أحاطه الفرنسيون بسور بُعيْد احتلالهم سكيكدة واختطوا مدينتهم فيليب فيل على أديمه. أنظر شكل (2أ).

ثانيا- حياة روسيكاد:

1-المرحلة الفينيقية/ النوميدية:

رغم اجماع المؤرخين على القول بنسبة روسيكاد إلى العهد الفينيقي وإدراجهم إياها ضمن إنشاءاتهم العمرانية على السواحل المغاربية، إلا أنهم عجزوا عن تحديد تاريخ هذا الإنشاء وكذا الجهة المسؤولة عن بناء روسيكاد. ولعل إخفاق محاولات تزمين روسيكاد راجع إلى انعدام الشواهد الأثرية وغياب النصوص والروايات التاريخية المساعدة على ذلك. فآثار المدينة السابقة للاحتلال الروماني اندثرت واختفت تحت المنشآت الرومانية التي غزت روسيكاد الفينيقية النوميدية حيث غطت العمائر السكنية ومختلف المرافق العمومية معالم المدينة السابقة تتدريجيا فاختفت وظهرت روسيكاد الجديدة في حلة رومانية شأنها شان المدن الأخرى، خاصة بعد اكتسابها صفة المستعمرة الرومانية، ثم أن انتصاب المدينة الفرنسية (فيليب فيل) على أنقاض روسيكاد (سكيكدة) انجر عنه إزالة جميع المعالم والشواهد الأثرية، ولم يعد ممكنا إجراء تنقيبات أثرية في الأماكن التي يتوقع العثور فيها على آثار الأولين، ولكن ما تم التقاطه من شواهد المرحلة الفينيقية / النوميدية هو من القلة بحيث لا يفي بحاجة المؤرخ في هذا السبيل. ومما عثر عليه من آثار المرحلة السابقة للاحتلال الروماني في سكيكدة قبر بوني في شكل قبو عثر عليه في مكان بناء المستشفى العسكري بالقرب من ميناء المدينة. وهذا النوع من المدافن الأقباء كان منتشرا في مقابر المدن الفينيقية النوميدية سواء في السواحل أو في بعض المدن الداخلية. كما عثر على رأس تمثال أرجعه المختصون إلى العهد السابق للرومان، وكذلك تيجان أعمدة أيونية وكان هذا الطراز سائدًا في العمارة البونية النوميدية[7]. وهناك قطع نقدية عثر عليها من العهد النوميدي.[8] وهو ما يشير إلى الأهمية الاقتصادية التي كانت تحتلها روسيكاد في ذلك العهد خاصة وأنها كانت مع سطورا بوابة نوميديا على العالم الخارجي في عهد ملوك نوميديا.

2 -المرحلة الرومانية:

لدينا حول روسيكاد في العهد الروماني معطيات أثرية ونصوص أدبية ونقوش لاتينية كثيرة يسرت على الباحثين رسم صورة للمدينة في العهد الروماني أوضح بكثير مما كانت عليه في العهود السابقة. فقد تم جمع شواهد أثرية متنوعة منها ما هو معماري كبقايا المنشآت العمومية مثل المسرح والمدرج والخزانات، ومنها ما يتصل بالآثار والقطع الفنية كالتماثيل والزخارف المعمارية، ثم المقابر وما تحتويه من أثاث جنائزي، فضلا عن العدد الكبير من النقوش اللاتينية المتنوعة الموضوعات. وكل نوع من هذه المخلفات يلقي ضوءا على جانب من جوانب تاريخ روسيكاد في العهد الروماني.أما المعلومات المكتوبة في شكل نصوص أدبية تاريخية مما يتعلق بهذه المدينة فهي متنوعة، منها توصيفات الجغرافيين مثل ما ورد عند بلينوس القديم الذي صنفها ضمن المدن المدعوة أوبيدوم Oppidum[9]، وهذا الصنف من المدن في الاصطلاح السائد آنذاك كان يتمتع باستقلالية إدارية، أي أنه من المدن السابقة للاحتلال الروماني. كما ورد ذكر

[7] Gsell. Et Bertrand ; Musée de Philippe ville ; p 7-68.PI. 8.Fig.3.
[8] Muler (L) ; 343 ;Mazard(J) p160.n°537
[9] Pline 1 ancien ; H.N.V ; 22.

روسيكاد عند بومبونيوس ميلا[10] ضمن وصفه للمدن الواقعة على سواحل نوميديا، وإن ذكر مدينة أخرى في تراب موريطانيا، ربما على سبيل الخطأ. وأشار إلى روسيكاد الجغرافي الأسكندري بطليموس[11].

كما أثبت موقع هذه المدينة في العهد الروماني واضع خريطة أنطونيني Itinéraire d'antonin، ووردت في خريطة بوتنجير Peutenger وغيرها. وتردد ذكر روسيكاد في نصوص عديدة تعود إلى العهد الروماني منها تلك التي حرّرها رجال الدين المسيحين أمثال فبريانوس وأغسطينوس وتلميذه أورسيوس. كما ذكرت في محاضر المجامع الكنيسة ومؤتمرات الأساقفة الهامة التي وصلتنا محاضرها كندوة قرطاجية عام 411م التي دعا إليها الإمبرطور هونوريوس واجتماع عام 484م تحت إشراف ملك الوندال بقرطاجة، ولقد حضر هذه اللقاءات ممثلون لاسقفيات المدن وكان من بينهم من مثل روسيكاد.

أما النقوش المتعلقة بروسيكاد فهي وفيرة ومتنوعة الموضوعات، منها ما عثر عليه في أماكن مختلفة من سكيكدة أشهرها ما وجد في المسرح وقد أرسلت بعض النقوش المدونة على لوحات رخامية جميلة إلى متحف اللوفر بباريس وأودع البعض الآخر في متحف سكيكدة, وقد نشرت تلك النقوش في الجلد الثامن من مدونة النقوش اللاّتينية[12] وأعيد نشرها كذلك في كتاب النقوش اللاّتينية بالجزائر[13] ". وهي نقوش وثقت أخبار روسيكاد في العهد الروماني.

عندما قتل يوبا الأول ملك نوميديا عام 46 ق. م. عقب هزيمته أمام جيش قيصر في معركة ثابسوس (رأس الديماص) على ساحل الوطن القبلي بتونس , أعلن المنتصر يوليوس قيصر عن احتلال نوميديا وإلحاق أراضيها بالممتلكات الرومانية واقتطاع إقليم شمال قسنطينة ومنحه إلى حليفه قائد المرتزقة سيتيوس مكافأة له ولجنوده على العون النافع الذي قدموه للقيصر أثناء الحرب. وكان ذلك الإقليم يضم مدنا نوميدية ساحلية وأخرى داخلية, أشهرها مدن روسيكاد وشولو (القل) ومليف (ميلة) وكرتا (قسنطينة). وبذلك أصبحت روسيكاد جزءا من الإمارة التي أقامها سيتيوس لجنوده المرتزقة لا تخضع لسلطة حاكم المقاطعة الرومانية الجديدة في افريقيا المسماة "أفريكا نوفا Africa Nova" التي أنشأها قيصر على الجزء المتبقي من مملكة نوميديا الزائلة.

وظلت مدينة روسيكاد في ذلك الوضع إلى أن رُقعت إلى درجة مستمرة رومانية في عهد الإمبراطور هدريانوس أوقبله, حيث ورد ذكر إسمها في عدد من النقوش اللاّتينية مقترنا بدرجتها كمستعمر: "كولونيا فنيريا روسيكاد"[14] (colonia veneria Rusicade) وبتلك الوضعية احتلت مكانة الإمتياز في سلم المدن الإفريقية الخاضعة. ولعل المباني الهامة التي كانت تزين روسيكاد كالمسرح والساحة العامة والمعبد والبازيكا, قد شيدت في تلك الفترة من طرف أثرياء المدينة وأعيانها فاستحقت روسيكاد ذلك الترفيع إلى درجة المواطنة الرومانية المرموقة. ويظهر أن كثير من الرومان قد حطوا رحالهم بروسيكاد إلى جانب البحارة الإيطاليين وغيرهم, فكثر عدد سكان روسيكاد وإقليمها, وتزايد عمرانها واتسعت رقعتها وانتشر العمران بأريافها, وهو ما تشهد عليه الآثار الكثيرة في ضواحي المدينة من بقايا المزارع والمنشآت الريفية المتنوعة, وقلما يجتمع بمدينة واحدة مدرج ومسرح كما هو الحال في روسيكا، وهو ما يدل على ارتفاع عدد سكانها[15] وثراء أهلها وعلومكانتهم الاجتماعية والثقافية.

---

[10] P.Mela.I.7

[11] Ptolemiée.iv.3.2.

[12] CIL.VIII.7969.7124.7986. 10322.7960.7007.7098.10296.22370.6958. 7095. 8210.7123. 6711.2586.

[13] Inscription Latines d'Algérie (ILA).

[14] C.I.L.VIII.6710; 6711; 7124; 7960; 7969.

[15] قدر بعض الباحثين عدد سكان روسيكاد بمائة ألف نسمة، أنظر: L.Bertrand ; monographie de theatre romain de philippe ville, R.de Const, 1908, p10.

كان لروسيكاد ميناء نشيط زالت معالمه وبني على أنقاضه ميناء سكيكدة الحديث على أيدي الفرنسيين، فهو وميناء سطورا الواقع غربا على بعد 5كلم كانا بمثابة الرئتين لإقليم كرتا (قسنطينة)، حيث كان يُصدّر منهما منتوج المنطقة من الغلال في إطار ضريبة الأونونا نحو روما، ويستقبلان منتوجات متنوعة من أقاليم الإمبراطورية الأخرى, فقد كان لروسيكاد علاقات تجارية عريقة مع إيطاليا وبلاد المشرق شهدت عليها بقايا أثرية وثقت نوعا من الصلات الثقافية والدينية بين الطرفين.[16]

وقد عثر في عرض شاطئ سكيكدة، الذي كان يتربع عليه ميناء روسيكاد، على عدد من الكرات الرصاصية التي كانت تستعمل لختم البضاعة[17].

كما نصت بعض النصوص التشريعية المتعلقة بالتجارة الرومانية على ذكر جمارك بحرية لمدينة روسيكاد عام 445م.[18]

ثالثا- أهم الشواهد الأثرية الموثقة لحياة روسيكاد في العهد الروماني: (أنظر شكل 2)

تتوزع بقايا عمران روسيكاد الرومانية على الحيز التوبوغرافي الموصوف أعلاه حسب الوصف الذي دونه رواد الموقع أثناء حملة الكشف على المعالم التاريخية في الجزائر أواسط القرن التاسع عشر.

أجرينا هذه القراءة من خلال مخطط رافوازي Rovoisie الذي وضعه أواسط القرن التاسع عشر وعلى مَوْضَعة الشواهد الأثرية المختلفة المعثور عليها أثناء بناء المدينة الفرنسية (فيليب فيل)، حسب قزيل Gsell في الأطلس الأثري الذي حصرها في الأرقام من 01 إلى 26.

1- عثر هنا على نقيشة لاتينية مدونة على لوح رخامي كبير يتعلق مضمونها بالنصر في عهد الإمبراطور الجبل(Elgabalus) وهي منشورة (C.I.L7963)، تم اكتشافها أثناء حفر الأسس لبناء المحكمة الفرنسية. وبالقرب من ذلك المكان عثر على نقيشة أخرى (C.I.L1988) بها اسم حاكم المستعمرات الثلاثة: ميليف Miliu (ميلة)، روسيكاد Rusicad (سكيكدة)، شولو (chullu) (القل)، وهو المدعو م. فابيوس فرانطو M.Fabius Franto. نلاحظ أن لهاتين النقيشتين أهمية تاريخية كبرى في حياة روسيكاد، فإحداهما تؤكد لنا العلاقة الإدارية بين المستعمرات الثلاثة، وهو ما تذكره وثائق أخرى، وتنص الثانية على العهد السيفيري الذي جسدته ووثقته جل المدن الإفريقية رغم قصر عهد الأسرة السيفرية على رأس الإمبراطورية (198-235م).

2- عثر هنا عن أسس معبد كبير أثناء بناء المسرح الفرنسي. ويصفه قزيل (Gsell)، بأنه يتكون من قاعة ذات ثلاثة أجنحة ، وهو بهذا يكون كابيتول روسيكاد. رغم أن بعضهم اعتبر هذه الأسس لبازيليكا.

3- عثر هنا عن جزء من تمثال ضخم من الرخام لا تعرف أجزاؤه الأخرى. وربما كان هذا التمثال يزين مكانا هاما.

4- تم هنا اكتشاف تاجين أحدهما كورنثي والآخر مركب هما الآن في متحف سكيكدة الجديد.

5-تم العثور في هذا المكان على تمثال الإمبراطور أنطونيوس بيوس الموجود حاليا في متحف سكيكدة، وهو في حالة حفظ جيدة (انظر الشكل 3).

6- عثر هنا على أرضية معلم دائري الشكل، أعاد تركيبه رافوازي Ravoisié, explorations scientifiques, S. II, P1.50 ولم يبق من آثاره شيء.

[16] Gsell et Bertrand, Musée de philippe ville, AAA/8/196.
[17] .Gsell et Gauckler, musée de constantine, p 49, 50.
[18] Gsell, AAA/8/196.

7- بقايا تبليط الطريق (الشارع) الروماني، ولعله الكاردو ماكسيموس، الذي يمر عبر الشارع الرئيسي لمدينة سكيكدة الحالية، وهو ينطلق من باب قسنطينة جنوبا وينتهي عبر الميناء بالقرب من محطة القطار حاليا.

8- عثر هنا على قاعدة تمثال عليها كتابة لاتينية تَبيّن أنه لكلوديا غاليطا Claudia Gallitta أخت المدعو كلوديوس، وكان عضوا في مجلس الشيوخ في عهد سبتميوس سفيروس (انظر النقيشة C.I.L.,7978) كما عثر هنا أيضا على قاعدة تمثال عليها كتابة لاتينية (C.I.L., 7977) تذكر امرأة تدعى بومبونيا جرمانيلا Pomponia Germanilla. وعثر هنا أيضا على جزء من نقيشة (C.I.L., 7985) تخص شخصا شغل منصب تريومفيرTriumvir في الكونفيديرالية الكرطية التي كانت روسيكاد إحدى أقطابها، وهو ما يشير إلى مكانة هذه المدينة في تسيير الكونفيدرالية المذكورة.

9- عثر هنا على نقيشة لاتينية كبيرة (C.I.L., 19913) تتعلق ببناء كنيسة مسيحية، مما يشير إلى انتشار الديانة الجديدة أنذاك في روسيكاد.

10- عثر هنا على تمثال ضخم حسب وصف قزيل Gsell ولا ندري أين هو الآن.

11- تم التقاط جزء من قناة مياه من هذا المكان ذات سقف مقبب، ويوجد جزء في المتحف يحمل مواصفات هذه القناة.

12-عثر هنا على أنقاض عين (نافورة) معلمية هامة، أزيلت لترك المجال لساحة المدينة الفرنسية " فيليب فيل ". تم اكتشافها عام 1851 وهدمت بعد ذلك بقليل، وهي حسب توصيف قزيل Gsell المعتمد على تقارير شهود عيان تتألف من 18 درجا دائريا متتاليا من أسفل إلى أعلى، ويعلو ذلك مسطح قطره 11,80 م تقوم عليه أربع كتل دائرية من الخارج مكونة فيما بينها شكل صليب كانت تعلوها تماثيل فيما يبدو. ويصل الماء إلى قمة هذا المعلم (النافورة) بواسطة قناة بقيت آثارها. ومنها يتدفق الماء على الأدراج الثمانية عشر ولنا أن نتصور مدى روعة المشهد، خاصة وأن هذه النافورة كانت بجانب الطريق وتطل على البحر(الميناء).

13-عثر في هذا المكان على قاعات ذات سُقفٍ مقببة، يعتقد أنها كانت لمخازن الميناء. هدم جزء منها عام 1851 أثناء اكتشافها عندما كان العمل جاريا لرصف الطريق الحديث، وقد وصفها بيرتراند Berterand ونشر مخططها الذي نقله عن مهندسي الطرق الفرنسيين الذين كانوا يستخدمون هذه القاعات لخزن عتادهم (انظر الشكل 5ب).

14- صهريج ماء كبير (انظر الشكل 6ب) استخدمته مصالح التموين العسكري الفرنسية بعد اكتشافه وترميمه وقد اختفى جزئه السفلي (الجدران القائمة) إلى مستوى بداية العقد (القوس). وهو الآن وهو الآن مقرا لمتحف سكيكدة الجديد، وهذا الصهريج كان يمون الحمامات القريبة منه. شكل الصهريج شبه منحرف يقترب من المستطيل، طوله حوالي 31م وعرضه حوالي 20,50م، وهو مجزأ إلى خمسة أجزاء متوازية على وجه التقريب، عرض الواحدة منها حوالي 4,50، وسمك الجدران الفاصلة بينها يتراوح بين1,10 م و1,50 م. وهي متصلة ببعضها بفتحات عرضها 1,40م. أما عُلو الصهريج في الأصل كان 7م. وما بقي منه فوق الأرض يقارب النصف (راجع)[1].

15-16- بقايا حمامات وأعمدة رخامية وفسيفساء.

17-18- بقايا شواهد عبادة ميترا، مع تمثال جذعي للإمبراطور كراكلا وأعمدة رخامية وأجزاء من تماثيل معبودات.(يوجد بعضها في المتحف).

19- ما بقي من المسرح الروماني (أنظر شكل 6 أ والوصف أدناه)

20- 21- الصهاريج الكبيرة (أنظر شكل 5أ، والوصف أدناه)

[1] Gsell. mon. I., 8. 174.

22- عثر هنا على أرضية قاعة مربعة الشكل فسيحة الأرجاء.

23- تم العثور هنا على نقيشة لاتينية إهدائية (C.I.L., 7969) تتعلق بالمعبود جوبيتر مكسيموس أبينوس حامي الإمبراطور سبيميوس سيفيروس وأبناءه، ومكان العثور عليها (جبل سكيكدة) شجع بعضهم على القول بأن معبد الكابيتول كان هناك،[1] غير أن أعمدة وتيجانا ضخمة من النوع المعروف في معابد الكابيتول هي مجمعة، بجانب المسرح الروماني الواقع في سفح هضبة بويعلا المقابلة لجبل سكيكدة، ونقدر أن نقلها إلى حيث هي الآن متعذر من جبل سكيكدة البعيد.

24-المكان الذي كان يحتضن المدرج الذي هدم عن آخره. وقد ذكرته نقيشتان لاتينيتان (C.I.L.,7983 ;7984)، ووصفه شهود عيان قبل تهديمه.(Gsell.mon.I.p.201).

25-مكان العثور على قبو بوني تحت الأرضية التي بني عليها المستشفى العسكري الفرنسي.

26-مقبرة رومانية فسيحة عُثر فيها على توابيت رخامية في حالة جيدة، تحمل مشاهد بالنحت البارز تمثل عالم باخوس وعالم الرعي والقنص والراعي الطيب وباب هادس Hadès، وهي في حديقة المتحف حاليا.(انظر شكل 7أ، ب).

[1] Bertrand, notes et documents, R. Const., 1907, p 82.

2- وصف بعض معالم روسيكاد:

أ-المسرح الروماني:

يفهم من تقرير رافوازي الذي قدمه في إطار "التحريات العلمية للجزائر" Exploitations Scientifiques d'Algérie أنه عندما نزل الفرنسيون في سكيكدة وأخذوا في تشييد مدينتهم (فيليب فيل) كان المكان خاليا لا شيئ فيه، قفرا تقريبا، أن بعض المباني الرومانية كانت أطلالها في حالة جيّدة، منها المدرج الذي اتخذوه محجرا لقلع الحجارة الجاهزة للبناء شأنه شأن الأطلال الأخرى فلم يبقوا منه شيئا. وبذلك يصح لنا قول عبارة مجازية قد لا يقرها الأسلوب العلمي، وهي أن المدينة الفرنسية (فيليب فيل) التهمت عظام روسيكاد عن آخرها، وهو ما وقع بصورة أو بأخرى للمدينة الفينقية-النوميدية بعدما احتلها مرتزقة سيتيوس ذات يوم من عام 46 ق.م.

ولم ينج من التدمير النهائي والطمس الإرادي الذي مارسته مؤسسات البناء الفرنسية على مدى سنوات في سكيكدة سوى المسرح الروماني. ومع ذلك اقتُطع منه الجزء الأمامي لإقامة مبنى المدرسة الفرنسية آنذاك (النهضة اليوم) التي تتربع على خشبة المسرح وما وراءها من هياكل، كما تم قلع حجارة المقاعد لاستخدامها في بناء المدرسة المذكورة.

لما هدأت موجة الحماس لبناء (فيليب فيل) بعد أن استكملت هياكلها وتم تحصينها بأسوار وقلاع بنيت بحجارة آثار روسيكاد، وبعد أن استقرّ وضع الفرنسيين في البلاد وأخذوا يشعرون بالأمن والطمأنينة التفتوا إلى ما عفت عليه أيديهم المتشنجة من قبل من معالم، فلم يروا أمامهم سوى ما اختفى من أطلال المسرح، وهكذا شرعوا في إزالة الأنقاض على ما تبقى من هذا المعلم ابتداء من عام 1860.

وفي سنة 1899 قام المنقبون بحفر خندق خلف المدرسة إلى عمق يزيد على أربعة أمتار تحت مستوى سطح الأرض، فتم العثور على أرضية المدرج الأول للمسرح. مما يدل على أن الجزء المطمور من المسرح يقدر بأكثر من أربعة أمتار، وأن أرضية الخشبة وما وراءها من هيكل المسرح هي تحت مبنى المدرسة على عمق يزيد على أربعة أمتار.

يستند المسرح إلى الجانب الشرقي من هضبة بويعلا وبذلك فهو موجه نحو الشرق بسبب الضرورة الطوبوغرافية للموقع. صفوف المقاعد ترتكز على أرضية صخرية تم تمهيدها في جانب الهضبة، وتنتهي صفوف المقاعد (المدرجات) في الأعلى ببناء من الحجارة المنحوتة والدبش والأجر، بعض أجزائه لا يزال قائما، وهو يحتوي على مجموعة من الغرف والأروقة والمداخل ذات الأبعاد المتفاوتة (3-4م)، ولها سقف معقودة لا تزال بعض أجزائها قائمة. وهناك عدة عقود متجهة خارج المسرح من الجهة الغربية تحمل سلالم صاعد في إتجاه المقاعد العليا.أما دخول المتفرّجين فهو من الجهة الغربية عبر رواق غير مسقوف يقع خلف المبنى، ومنه يدخل المتفرّجون إلى المقاعد عبر ست بوابات مرورا بست سلالم تخترق مدرّجات المسرح من الأعلى إلى الأسفل ، عدد دراجات السلم المكشوفة، المرئية ، يتراوح بين 19 و20 درجة، علو الواحدة 20سم. وعرضها (موطئ القدم) 30سم، واتساعها 3م، وبذلك قدر التدفق عند الدخول بخمسين متفرجا في آن واحد دون زحام.

كان رافوازي قد شاهد بعض أجزاء القسم الأمامي من المسرح وبعض المشاكي niches ذات الشكل نصف الدائري أو المستطيلة، وأجزاء أخرى من مبنى الممثلين هي الآن مختفية تحت بناء المدرسة.

يزيد عرض المسرح عن تمانين مترا (80م) وتقدر مساحته بحوالي 4900متر مربع، وسعته بحوالي ستة آلاف متفرّج[1]، كان المسرح جميل التزين، وقد عثر في أطلاله على عناصر من الزخرفة المعمارية منها قطع من الطنف corniche المنحوتة من الرخام الأبيض الجميل وقطع من البالوسترات الرخامية كذلك، وقواعد تماثيل من الرخام الأبيض وأعمدة رخامية صغيرة، وقد نقشت النصوص اللاتينية الهامة على ألواح رخامية بيضاء مما أكسب تلك النصوص رونقا خاصا وأهمية أثرية مميزة فنقل أفضلها إلى متحف اللوفر ويوجد بمتحف سكيكدة مجموعة من القطع الأثرية المكتشفة في المسرح منها:

- ثلاث قطع رخامية هي أجزاء الطنف.
- ثلاث قطع لحاجز رخامي يبدو أنه كان أمام خشبة المسرح.
- عمودان صغيران من الرخام كانا ضمن الأعمدة الحاملة للحاجز المذكور آنفا.
- قاعدة رخامية على واجهتها نقش لاتيني يعود إلى عهد الإمبراطور اسكندر سفيروس يذكر اسم فرانطو Franto صاحب الفضل في ترميم المسرح بقيمة ألف ديني.
- نقيشات رخامية، عدد من الرؤوس الرخامية أيضا، وغير ذلك من مما أمكن التقاطه في أرضية المسرح أو مواقع أخرى في المدينة.
- يقدر تاريخ ميلاد مسرح روسيكاد بالقرن الثاني ميلادي على الأرجح دون جزم بشأن سنة معينة أو في عهد إمبراطور معين.ذلك أن القرائن التاريخية والشواهد الأثرية لا تساعد على تحديد ميلاد هذا المسرح الجميل،وما عثر على وثائق مؤرخة لا تتقدم عهد الامبراطور هادريانوس، أهمها قطعة نقد تحمل اسم زوجته صابينا Sabina .لكن هذا لا يعني أن إنشاء المسرح كان في زمن ضرب هذه القطع النقدية لأن النقود تواصل التداول بها زمنا طويلا بعد ضربها. بينما النقوش اللاتينية تؤكد وجود المسرح الروماني بروسيكاد خلال القرن الثاني الميلادي ، حيث جرت ترميمات أو توسيعات وتزيينات فيه ذكرتها النقوش المذكورة[2].

في عام 1875 وضعت السلطة الفرنسية المسرح الروماني بسكيكدة تحت طائلة القانون حيث صُنّف ضمن الممتلكات التراثية المحمية. ثم اجتهدت المصالح المعنية بآثار سكيكدة في صيانة المسرح وجلب اهتمام السلطات والجمهور نحوه فأقامت له خشبة خلف المدرسة قصد القيام بنشاطات ثقافية عليها. وفي 19 مايو من عام 1908 استقدمت سلطات سكيكدة فرقة تمثيل مسرحي من فرنسا قدمت عروضا على خشبة المسرح الروماني أمام جمهور كبير هيئت له مقاعد اسمنتية على المدارج الأصلية، وقُدّر عدد المتفرجين بأكثر من ألف وخمس مائة شخص، حضر بعضهم من المدن المجاورة ومن جمهور المزارعين الفرنسيين بضواحي سكيكدة إحتفاءا بإعادة الحياة لهذا المعلم التاريخي الهام.

ومع ذلك فإن وضعية المسرح الحالية هشة وتستدعي التدخل العاجل لإنقاذه من الاندثار إذ علته الأعشاب وحاصرته الأشجار وعاثت فيه أيدي البشر.

ب – المدرج L'Amphithéâtre (أنظر الشكل 2. رقم 24)

ذكرنا آلف حالة هذا المعلم التاريخي وما لحقه من ضرر جراء الإحتلال الفرنسي. كان يقع في الحافة الجنوبية الشرقية لروسيكاد ، وحسب المخطط الذي رسمه رافوازي والوصف الذي أولاه إياه[3] فإن المبنى كان قائما إلى غاية سنة

[1] Gsell.mon.I. p 192-194; Musée de Philippe ville.
[2] 1 CIL . VIII ;7960; 7988 ; 7989 ;7994;
[3] Ravoisi, exploration scienthfique de l Algérie .11 ,P1 .56-59 ;Delamare . p1.18. Fig . 4

1845 عندما هدمته فرقة الهندسة العسكرية الفرنسية عن آخره. وكانت مساحته كالآتي: 78م طولا مقابل 59م عرضا. وأبعاد الحلبة: 50م طولا مقابل 36م عرضا، وكان السور المحيط بالحلبة يرتفع إلى 4,65م وكان للمدرج 12 صفًا من المقاعد. أما البناء فكانت أسسه من الحجارة الضخمة غير المنحوتة بينما المقاعد وجدران الحلبة كانت من الحجارة المنحوتة, أما تاريخ بناء هذا المعلم فهو غير محدد وزواله من الوجود يجعل امكانية تأريخه غير متأتية بإستثناء إمكانية العثور صدفة على قرائن تأريخ أخرى كالنقوش اللاتينية مثلا ومع ذلك فإن النقش اللاتيني المؤرخ الذي يشير إلى مدرج روسيكاد يعود إلى حوالي عام 187م.[1]

ج _ النافورة

عثر عمال تهيئة ساحة البحرية عام 1850 على آثار وصفها المختصون بالعين المعلمية أو النافورة العمومية. وقد هدم المعلم بعيد ذلك بقليل , ولولا الوصف الذي سجله دولامارDelamare والرسومات التي قام بها لذلك الاكتشاف الجميل لضاعت أخباره نهائيا. وحسب المعلومات المنتقاة من أعمال دولامار[2] فإن المعلم كان يتألف من 18 صفا دائريا من الأدراج المتناضدة، الأخيرة منها أعلاها مسطح دائري قطره 11,80م على حافته أربع قواعد حجرية دائرية الحواشي، لعلها كانت تحمل تماثيل وقد اكتشفت بقايا قناة توصيل الماء إلى أعلى المعلم[3]. مما يشير إلى أن هذه العين كانت عبارة عن نافورة تتدفق المياه من أعلاها فتتناثر على الجوانب (الأدراج الدائرية) مشكلة شلالات جميلة. ونقول أنه لو احتفظ الفرنسيون بذلك المعلم وجعلوا ساحة البحرية تحيط به وأعادوا له الحياة بتوصيل الماء إليه كما كان في زمانه لكان عملا تاريخيا جميلا. لكن تهديمه مثل غيره من معالم روسيكاد عمل مشين يُحسب على فاعليه.

د- صهاريج المياه (انظر شكل 5 أ)

أهم صهاريج روسيكاد هي التي كانت قائمة على هضبة بويعلا المشرفة على المدينة من الجهة الغربية. وهي المعالم الوحيدة التي اعتنى بها الفرنسيون عقب احتلالهم سكيكدة فرمموها عدة مرات أعوام 1845- 1846 – 1863[4] حيث كانت حاجتهم إليها حيوية، فقد استعملوا تلك الصهاريج للتموين بالمياه على الطريق الرومانية .وحسب توصيفات رافوازي ودولامار والرسوم وضعاها لتلك المعالم[5] فهي مكونة من خزانين منفصلين بمسافة حوالي 150 مترا. وكانت تمولها قناة ناقلة ممتدة على مسافة حوالي 5 كلم ما بين نقاط تجميع المياه في واد بني مالك غربي سكيكدة وأماكن الخزن في هذين الصهريجين، وكانت القناة مسقوفة بعقود ومجهزة بنفاسات Regards مستديرة الشكل ومربعة .

أحد الخزانين له شكل اهليلجي قياس قطره الكبير55م وقطره الصغير 34م وقُدرت سعته بحوالي 9000 متر مكعب[6] وهو مجزء إلى سبع مقصورات غير متساوية بواسطة أسوار غير متماثلة الأبعاد. لعل ذلك راجع إلى طبيعة الموقع الطوبوغرافي الذي يجعل الضغط الجانبي الممارس على الصهريج من الخارج قويا، مما يستدعي تجزئة حيز المخزن إلى أقسام روعي في أحجامها واتجاهاتها مواجهة ذلك الوضع. وقد جُهز السور الخارجي للصهريج بأسوار داعمة قصد توزيع الضغط الممارس من الخارج، فأعطاها المهندس اتجاهات وأشكالا تتناسب وشدة الضغط واتجاهه، وجعلها في بعض الأجزاء مسننة أو مدببة قصد كسر الضغط الجانبي (أنظر الشكل 5), للأحواض الداخلية أعماق متساوية لأنها على أرضية

[1] Gsell Mo . P. 201- N4 ; CIL VIII . 7969 ;
[2] Delamare ; PI, III;fig . 5,6
[3] Gsell.MON..I .P .245
[4] Gsell. Op. cil. p 272; Fenech, Histoire de Philippe ville.
[5] Rovoisie II, Pl. 46-48 et 70; fig. IX-XI.
[6] Gsell. Op. cit. p 272.

متساوية يبلغ عمقها 10،60 م, وهي متصلة ببعضها من الأسفل بفتحات واسعة بحيث يمكن لعمال الصيانة والتنظيف المرور عبرها من مقصورة إلى أخرى .

أما الخزان الثاني على هضبة بويعلا فهو يقع في مستوى أسفل من الأول بخمسة أمتار تقريبا، ويتخذ شكلا مستطيلا أبعاده 52،40 على 25م ويمكنه أن يسع 11000م مكعب[1]. وهو مجزأ إلى مقصورات كما هو شأن الصهاريج الرومانية وكان هذا الخزان مغطى بسقف معقود حسب مواصفات من عاينه.

هـ مخازن الميناء

طمرت تحت ساحة البحرية الفسيحة بقايا مخازن، عثر على مدخلها عام 1851 أثناء أشغال الحفر لتمهيد الساحة المذكورة وبناء سكيكدة الجديد. مدخل المخازن يرتفع على المستوى البحر بحوالي خمسة أمتار ويؤدي عبر سلم متجه إلى الأسفل إلى مقصورات المخازن، وهي حجرات غير منتظمة الشكل يبدو أنها بُنيت على عجل، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. ولم يترك لنا المكتشفون معلومات عن محتويات تلك المحلات. والظاهر أنها كانت مستودعات للبضاعة البحرية وقد حافظ عمال الأشغال العمومية الفرنسيون على بعض ذلك الحجرات حفظوا فيها معداتهم لوقت ما، لكن ذلك المعلم أختفي بعد ذلك جراء الردوم التي استخدمت لبناء الطريق المحاذي للبحر نحو محطة القطار عام 1903م، ولم يصل إلينا من تلك الآثار سوى مخطط قام برسمه أحد المشرفين على أشغال الطرق والجسورPonts et chausses نشره بيرتراند عام 1907[2].

[1] Ibid.
[2] Bertrand Notes et document R. de const. 1907.p. 79-80

رابعا- نماذج من آثار روسيكاد (أشكال 3-7)

شكل 3

أ : نصب بوني نوميدي

هذا النمط من الأنصاب كثير الوجود في نوميديا، وهو يتميز بملامح الوجه المشابه لملامح وجوه أنصاب فئة " أبيزار ". يحمل الشخص هنا رمزي الرخاء: سعف النخلة ورغيف الخبز.

صورة: م.ب. شنيتي

ب : تمثال الإمبراطور أنطونينوس بيوس

عثر على هذا التمثال شبه الكامل أثناء الحفر لإقامة بناءات حكومية فرنسية ضمن عملية تشديد مدينة " فيليب فيل Philippe Ville "على أنقاض روسيكاد – سكيكدة. خلال منتصب القرن التاسع عشر. ومكان العثور عليه (رقم 5 على مخطط المدينة شكل 2) يشير إلى مركز روسيكاد في العهد الروماني.

راجع : Gsell (s) et Bertrand, musée de philippe Ville 1898. ppp : 60-61

صورة: م.ب. شنيتي

شكل 4

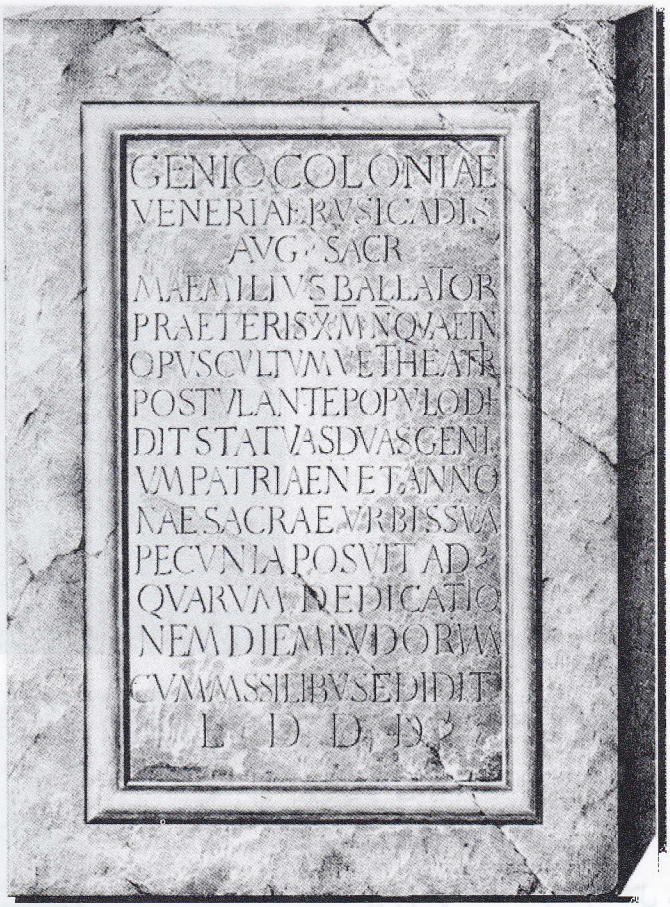

نقيشة الإهداء لراعية مستعمرة روسيكاد. عثر عليها في وسط المدينة صحبة عدد من الشواهد الأثرية المتعلقة بأمور عمومية ورسمية. راجع P.A, Février, approches. I, p195.

شكل 5

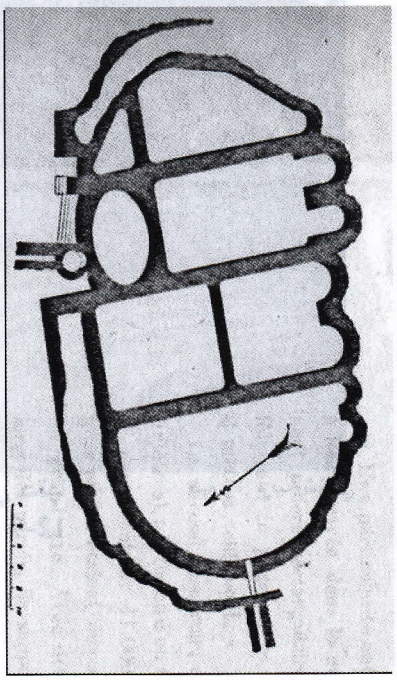

أ- مخطط الصهريج الإهليجي
عثر عليه في هضبة بويعلا(رقم20
على المخطط)

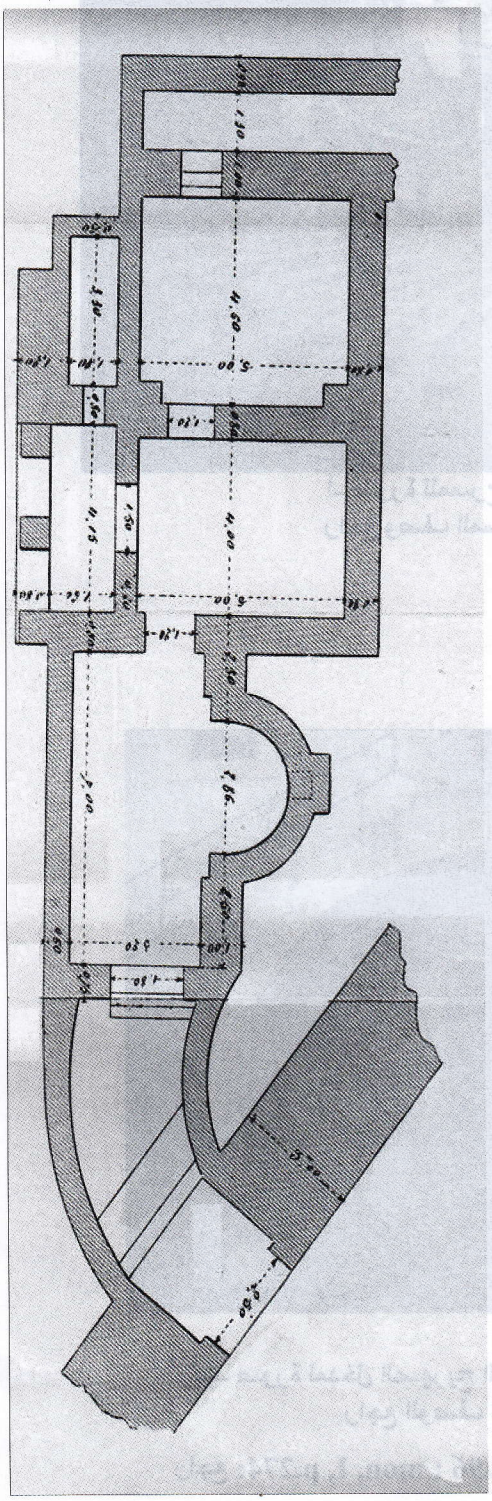

ب- مخطط مخازن الميناء
راجع وصفه أعلاه. والمرجع التالي:

Bertrand, notes, R, de const. 1907, p80.

شكل 6

صورة: م.ب. شنيتي

أ- صورة للمسرح الروماني حاليا
راجع وصف المسرح .ص. 9-12

صورة: م.ب. شنيتي

ب- صورة لمدخل الصهريج المستخدم متحفا حاليا
راجع الوصف أعلاه.

راجع: Gsell (s), AAA /8/96 : mon, I, p.274

شكل 7

أ- تابوت الراعي الطيب صورة: م.ب. شنيتي

هو من الرخام الأبيض لكن لونه مغبث، عثر عليه في المقبرة الرومانية الواقعة بالقرب من باب قسنطينة، يتميز مشهد الراعي الطب لذلك أطلقناعليه هذا الاسم مؤقتا، هو في حديقة المتحف.

ب- تابوت القنص صورة: م.ب. شنيتي

هو من الرخام الأبيض لكن لونه مغبث. عثر عليه في المقبرة المذكورة يحمل على واجهته مشهدا جميلا يجمع بين الرعي والقنص، فأسميناه كذلك.

هو في حديقة المتحف.

راجع حول التابوتين[1].

[1] Gsell (s) ; A AA /8/96